

الآيات في الموالاة في سورة الممتحنة

*1- (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير، قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرونا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد، عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) [الممتحنة 1- 9].

(مقدمة تفسير سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الممتحنة وهي مدنية كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضاً وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفاً لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال اللهم عم عليهم خبرنا فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم
يدا فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم
استجابة لدعائه فبعث في إثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين
في هذا الحديث المتفق على صحته قال الإمام أحمد 179 حدثنا
سفيان عن عمرو أخبرني حسن بن محمد بن علي أخبرني عبد
الله بن أبي رافع وقال مرة أن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه
سمع علياً رضي الله عنه يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنا والزيبر والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا
حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالطعينة قلنا أخرجي الكتاب قالت ما
معي كتاب قلنا لتخرجي الكتاب أو لتلقيين الثياب قال فأخرجت
الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من
المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا
قال لا تعجل علي إني كنت أمراً ملصقاً في قريش ولم أكن من
أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون
أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ
فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن
ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر دعني أضرب عنق هذا
المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا
وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه خ 3007 م
2494 د 2650 ت 3305 س كبرى 11585 من غير وجه عن
سفيان بن عيينة به وزاد البخاري في كتاب المغازي 4274
فأنزل الله السورة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء وقال في كتاب التفسير 4890 قال عمرو نزلت فيه يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

.....
فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يعني
المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله وللمؤمنين
الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء
وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم
وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا

تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وقال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

.....
وقوله تعالى يخرجون الرسول وإياكم هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى أن تؤمنوا بالله ربكم أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وكقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله وقوله تعالى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى تسرون إليهم بالموودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي لو قدروا عليكم لما أبقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال وودوا يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه أي وأتباعه الذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم أي تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أي بدينكم وطريقكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده أي إلى أن توحيدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد وقوله تعالى إنا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدھا

إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم وقال تعالى في هذه الآية الكريمة قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم إلى قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء أي ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله تعالى وتضرعوا إليه فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير أي المعاد في الدار الآخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا قال مجاهد معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا وكذا قال الضحاك وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه واختاره ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا وقوله تعالى واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم أي واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك إنك أنت العزيز أي الذي لا يضام من لاذ بجنابك الحكيم في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثنية ههنا هي الأولى بعينها وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تهيج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد وقوله تعالى ومن يتول أي عما أمر الله به فإن الله هو الغني الحميد كقوله تعالى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفاء وليس كمثل شيء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

الآيات 9 607 يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم
بعداوة الكافرين عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة أي محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد
الفرقة والله قدير أي على ما يشاء من الجمع بين الأشياء
المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة
والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة

.....
وقوله تعالى والله غفور رحيم أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا
منه وأتابوا إلى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب
إليه من أي ذنب كان وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية نزلت
في أبي سفيان صخر بن حرب فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه

.....
وفي صحيح مسلم 2501 عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا
رسول الله ثلاث أعطينهن قال نعم قال تأمرني أقاتل الكفار كما
كنت أقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك
قال نعم قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي
سفيان أزوجكها الحديث وقد تقدم الكلام عليه وقوله تعالى لا
ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم
في الدين ولم يظاهروا أي يعاونوا على إخراجكم كالنساء
والضعفة منهم أن تبروهم أي تحسنوا إليهم وتقسطوا إليهم
أي تعدلوا إن الله يحب المقسطين وقال الإمام أحمد 6345
حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي
بكر رضي الله عنها قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد
قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا
رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها قال نعم صلي
أمك أخرجاه خ 5219 م 2130

.....
وقوله تعالى إن الله يحب المقسطين قد تقدم تفسير ذلك في
سورة الحجرات وأورد الحديث الصحيح م 1827 المقسطون
على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم
وأهاليهم وما ولوا

وقوله تعالى إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم أي
إنما ينهاكم عن موالات هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم
وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن

موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على مولاتهم فقال
ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم
منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (تفسير ابن
كثير ج 4 ص 345- 351)

قال ابن القيم: (لقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن
الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن
يتولهم فأولئك هم الظالمون فإن الله سبحانه لما نهى في أول
السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء وقطع المودة بينهم
وبينهم توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة
فبين الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها وأنه لم
ينه عن ذلك بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه وكتبه علي كل
شيء وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة) (أحكام
أهل الذمة ج 1 ص 602).

قال الشافعي رحمه الله:
(وقرأت في كتاب السنن رواية حرملة بن يحيى عن الشافعي
رحمه الله قال قال الله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين الآيتين قال يقال والله أعلم إن بعض
المسلمين تأثم من صلة المشركين أحسب ذلك لما نزل فرض
جهادهم وقطع الولاية بينهم وبينهم ونزل لا تجدوا قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية فلما خافوا
أن تكون المودة الصلة بالمال أنزل لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن
الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا عل
إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون
قال الشافعي رحمه الله وكانت الصلة بالمال والبر والإقسط
ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية
لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين وذلك أنه أباح
بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقسط إليهم ولم
يحرم ذلك إلى من أظهر عليهم بل ذكر الذين ظاهروا عليهم
فنهاهم عن ولايتهم وكان الولاية غير البر والإقسط وكان النبي
فادى بعض أسارى بدر وقد كان أبو عزة الجمحي ممن من عليه

وقد كان معروفا بعداوته والتأليب عليه بنفسه ولسانه ومن بعد بدر على ثمامة بن أثال وكان معروفا بعداوته وأمر بقتله ثم من عليه بعد إيساره وأسلم ثمامة وحبس الميرة عن أهل مكة فسألوا رسول الله أن يأذن له أن يميّهم فأذن له فمارهم وقال الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا والأسرى يكونون ممن حاد الله ورسوله) (أحكام القرآن للشافعي - رحمه الله - ج 2 ص 191- 194)

***2- (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)**
[الممتحنة 13]

قال القرطبي رحمه الله:
"قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود قال ابن زيد وقيل هم المنافقون وقال الحسن هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا وقيل المعنى يئسوا من ثواب الآخرة قاله مجاهد ومعنى كما يئس الكفار أي الأحياء من الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم قاله الحسن وقتادة قال ابن عرفة وهم الذين قالوا وما يهلكنا إلا الدهر وقال مجاهد المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور أن يرجعوا إلى الدنيا وقيل إن الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره قال ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا أي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن أبي بلتعة يريد أن كفار قريش قد يئسوا من خير الآخرة كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الآخرة من رحمة الله تعالى وقال القاسم بن أبي بزة في قوله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال من مات من الكفار يئس من الخير والله أعلم" (تفسير القرطبي ج: 18 ص: 76).